الخطة السرية لصموئيل زويمر

أنـا لا أهتـم بالمسلـم كإنســان . !
أنه لايستحق شرف الانتساب إلى المسيح ..
فلنغرقه بالشهوات ولنطلق لغرائزه العنان ..
حتى يصبح مسخا لا يصلح لأى شيء . !!!

زويمر

الخطة السرية لصموئيل زويمر

فى عام ١٩٦٠ م وقعت فى يدى ـــ من حيث لا أتوقع ـــ هذه الوثيقة السرية التى نشرت فى كتاب « خاص لخدام الدين المسيحى » بقلم « صموئيل زويمر » المنصر المعروف فى مختلف أقطار الشرق .. لقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى سنة ١٩١٢ م ، وأعيد طبعه سنة ١٩٢٧ م على نفقة « اللجنة التبشيرية » فى الإرسالية الأمريكانية بمطبعة « النيل المسيحية » وكان مقرها فى شارع « المناخ » وهذه المطبعة كانت متخصصة فى طباعة وبيع الكتب المسيحية ، كما كانت وكيلة معتمدة لعدة مكتبات مسيحية منها « مكتبة المشعل » فى بيروت » ولجنة « النشر المسيحى » بالفجالة ، ودار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية التى تدار من قبل « المجمع المسيحى للشرق الأدنى » ومقره فى مدينة القاهرة . بجوار مبنى جريدة الأهرام فى شارع الجلاء .

وقد عثر على هذه النسخة من الكتاب فى مكتبة بأسيوط تابعة للكلية الأمريكية اسمها « تاجرت » ثم أخرج منها بطريقة خاصة ، حيث لم يكن ممكنا الحصول عليه بغير هذه الطريقة الخاصة !!!

ومما يدعو للأسف والحسرة .. أن المسلمين لم يفكروا فى مثل هذه الأساليب لدعوة الناس إلى دين الحق . بل لم أجد مسلما أرخ لانتشار الدعوة الإسلامية على نحو ما فعل المستشرق البريطانى « السير توماس أرنولد »[1] THOMAS ARNOLD .

---

(١) انظر كتابه (الدعوة إلى الإسلام) .. ترجمة دكتور حسن إبراهيم

إن أمامى الآن نسخة من الكتابين اللذين ألفهما المبشر العالمى « ستيفن نيل STEPHEN NEILL » الكتاب الأول : اسمه تاريخ البعثات التبشيريـة CHRISTIAN MISSION » ، أما الكتـاب الثـانى فـاسمه « الإنجيليـة ANGELICANISM» ..

وفى هذين الكتابين نجد التخطيط ، والتنظيم ، والدراسة الواعية لكل ما يتعرض له . « المنصرون » فى ميدان التنصير ...
أما نحن ... فنسمع كل يوم عن مؤتمرات تعقد ، وقرارات تصدر ، ومنظمات إسلامية تتنوع وتتعدد .. فإذا بحثت عما انتهت إليه هذه المؤتمرات أصابك من حيث لا تشعر أحباط مفعم باليأس ، وخيبة أمل وحسرة على ماانتهى إليه حال المسلمين فى هذا العصر !

« ... فى الصيف الماضى زرت مكتبة « مجلس الكنائس العالمى » فى جنيف فوجدت هناك كتبا لاتحصى عن أفريقيا ، وأحصيت خمسة أطالس ، ووجدتهم يعلون طبعة جديدة من الأطلس الدينى للعالم ، ولم أستطع شراء نسخة من هذا الأطلس ، لأنه خاص بهم ورفضوا أن يعيرونى إياه ، وبكل صعوبة تركوه لى فى المكتبة فقضيت يوما أتصفحه وأدون مذكرات منه .

وفى اليوم التالى عندما ذهبت قالوا لى : إن هذا الأطلس غير موجود .. لقد أخفوه عنى ، وبعد ظهر اليوم نفسه رفضوا السماح لى بالدخول إلى المكتبة ، فاحتججت ورفعت صوتى ، وأخيرا سمحوا لى بالدخول ، ولكننى لم أجد كتابا واحدا مما كنت أقرأ،وقد غضبت عليهم ولكننى احترمتهم لأنهم ناس يقظون ، إنهم يعرفون إنهم يخوضون معركة ، وأنا فى نظرهم عدو ، وهم يعاملوننى على هذا الأساس ..
وأذكر أننى ترددت كثيرا على مركز من مراكز إعداد المبشرين فى مدريد ، وفى فناء المبنى الواسع وضعوا لوحة كبيرة كتبوا عليها :
(أيها المبشر الشاب : نحن هنا لا نعدك بوظيفة أو عمل أو سكن أو فراش

وثير .. إننا ننذرك بأنك لن تجد فى عملك التبشيرى إلا التعب والمرض كل ما نقدمه إليك هو العلم والخبز وفراش خشن فى كوخ فقير ، أجرك كله ستجده عند الله إذا أدركك الموت وأنت فى طريق المسيح كنت من السعداء) ..

ورغم ذلك فقد كنت أجد مئات الشبان يدرسون فى ذلك المركز ، وكنت أجدهم يقيمون فى العالم الكاثوليكى كله يوما يسمونه يوم « المبشر » ــ يجمعون فيه الملايين لتنفق كلها فى سبيل التبشير ، ورأيت مرة فى ميناء (مالقة) فى أسبانيا سفينة كاملة خصصت للمبشرين ، وعلى هذه السفينة قيل لى إن هناك ۳۰۰۰ مبشر ومبشرة ، وكلهم ذاهبون إلى أفريقيا[1] !!!

* * *

لكن من هو « صموئيل زويمر » هذا الذى يحظى بهذه الأهمية البالغة ؟

فى مقال نشر بمجلة « المصور » المصرية بتاريخ ۳۰ / ٥ / ۱۹۷۳ يقول الدكتور حسين مؤنس :
« فى يوم من أيام الحركة الوطنية فى مصر سنة ۱۹۱۹ م شارك المسلمون والمسيحيون فى جبهة وطنية واحدة ، فى هذا اليوم تسلل المبشر الأمريكى « زويمر » إلى الأزهر فى زى طلبة العلم !! واندس فى حلقات الدروس .

وكان « زويمر » هذا صعلوكا ينسب نفسه إلى الدين والعلم وهو فى حقيقته جاسوس خبيث تنفق عليه جماعة دينية فى ولاية « كونيكتكات » وكان يحتمى بالسفارة الأمريكية ويكتب مقالات ــ فى مجلة تدعى « العالم

---

(١) دكتور حسين مؤنس ــ مجلة المجلة ــ العدد ١٦٦ ..

الإسلامى » مازالت تصدر إلى اليوم فى مدينة « هارتفورد بالولاية المذكورة ـــ تطعن فى الإسلام دون حياء أو خجل ..

لقد اندس زويمر بين الطلاب الأزهريين ثم دخل فى حديث مع طالب ، وتناول كتبه ينظر فيها ثم أعادها إليه بعد أن دس بينها رسائل من تأليفه فى الطعن فى الإسلام طبعها فى مطبعة إحدى الجمعيات القبطية [1] ..

وكان غرضه من ذلك أن تقوم الفتنة بين المسلمين والأقباط ، ولكن الدسيسة لم يلبث أمرها أن انكشف ، ونشرت الصحف مقالات لنفر من علماء الأزهر يستنكرون فيها عمل هذا المبشر الخبيث ، ونشرت جريدة « البلاغ » مقالا عنيفا لكاتب مسيحى اسمه « كليم أبو سيف » بعنوان (المبشرون) قال فى بعض فقراته « ... عجيب أمر هؤلاء المبشرين .. فهم ـــ رغم أننى أستطيع أن أقسم بأنهم لا دين لهم ـــ لايزالون يرتكبون ـــ باسم الدين ـــ كل المنكرات والمحرمات التى نهاهم عنها الدين ، وهم لايزالون يتمادون فى صفاقتهم وتحديهم لشعور المصريين بتلك الأعمال ، وما أظن أناسا رزقوا شيئا من الحياء أو الأدب يستطيعون إتيانه وتحمل مسئوليته .

أنتم أيها المبشرون لا أكثر من جواسيس للاستعمار أتيتم إلى هذه البلاد لا لنشر فضيلة دين معين ، بل لاتباع سياسة شريرة موصى بها من جهات معينة ، ومن أهداف هذه السياسة إيجاد الخلاف بين المصريين أبناء الأسرة الواحدة ..

إذن أنتم لستم مبشرين ، وإنما أنتم مجرمون تتخذون الدين ذريعة لارتكاب المنكرات وأنتم تعلمون .. أنكم مجرمون حقا ... ولو كنتم شرفاء

---

(١) مطبعة النيل المسيحية .

لبشرتم بالفضائل فى مجتمعاتكم الغربية التى لاتؤمن بدين[1] !! !! !!

* * *

وكمثال . أو « نموذج » لتخطيط هذا الرجل ، وسعيه الحثيث الدائب لتنصير المسلمين فى كل بلد . فإننا ننقل هنا بعض ماكتبه فى هذا الكتاب عن مصر ، وعن الأسباب والدوافع التى تدعو هؤلاء « المنصرين » لإثارة الفتن والقلاقل ضد الإسلام والمسلمين فى بلد « متسامح » كمصر ..

* * *

يقول « زويمر » :

« إنه أمر لا يختلف فيه اثنان ومع ذلك نعيده كل آن حتى لايعتريه الإهمال والنسيان .

. إن المسألة الجوهرية فى باب الأعمال التبشيرية فى مصر هى المسألة الإسلامية .. فالمسلمون أكثر من تسعة أعشار[2] السكان ، ومع أنهم متروكون من الكنيسة أكثر من أى شعب آخر فهم أقرب وصولا من كثير من الناس ، وليس أدل على تركهم بدون عمل تبشيرى يذكر بينهم من الأرقام الناطقة صريحا بمقدار الإهمال ؟!

فالأعراب « البدو » فى مصر يبلغ عددهم أكثر من ٦٤٠٠٠٠ نفس تقريبا ولا يوجد بينهم عمل تبشيرى خاص بهم ..

ومن المسلمين سكان وادى النيل الذين يبلغ عددهم ١١,٦٢٣,٧٤٥ (٠) نفسا « أى فى عصره » يقول العارفون بحقائق الأمور ودخائلها والمدققون فى الملاحظة والعمل إن كل الإرساليات التبشيرية

---

(١) لقد هلك « صموئيل زويمر » عام ١٩٥٢ م بعد أن عاش خمسة وثمانين عاما قضى معظمها فى محاربة الإسلام ، وقد أطلق اسمه على معهد خاص بالدراسات التبشيرية فى « برنستون » بالولايات المتحدة الأمريكية ..

(٢) زويمر — يقرر ذلك رغم الأكاذيب التى تثار من وقت لآخر حول هذه النسبة !

الموجودة فى مصر من أجنبية ووطنية لم تصل جميع رسائلهم التبشيرية إلى أكثر من مليون منهم ، ولا يوجد عمل تبشيرى يذكر فى مدن مصر وقراها التى تبلغ ٣٦٢١ إلا فى ٣٦٠ فقط .

أما القاهرة عاصمة البلاد وأكبر مدينة فى أفريقيا كلها والتى هى بمثابة الدماغ المفكر للجسم الإسلامى فى العالم كله فإن عدد المسلمين يفوق على ضعفيه فى الأستانه[1] ذاتها وهو ٦٣١,١٦٣ ، ولا توجد مدينة فى العالم تضم عددا من المسلمين مثلها ، ولها نفوذ ممتد ، ليس فى أقاليم شمالى أفريقيا فقط بل وفى سائر أنحاء الشرق الأدنى ، وبعض جهات الشرق الأقصى أيضا . فمن يزرها ولو مرة واحدة يشعر لأول وهلة أنها مدينة إسلامية بلا جدال لما يشاهده فيها من ازدحام السكان وعظمة الآثار وكثرة المساجد وتعدد الكتاتيب والمدارس الإسلامية وغوغاء الشوارع وجلبة الباعة وكل ما فيها حتى اللوحات المعلقة على رءوس الشوارع — كل هذه — تنبىء الزائر الأجنبى بأن هذه مدينة إسلامية بحتة ، وتقسم هذه العاصمة العظيمة إلى خمسة عشر قسما تسمى (أثمانا) وكلها يزيد فيها العنصر الإسلامى إلا الأزبكية ، ومع ذلك فإن عدد المسلمين فى هذا القسم بالمقابلة مع غيرهم كثير أيضا ..

ومنذ وصولى إلى هذه البلاد وأنا أدرس سبب تراخى الكنيسة[2] الوطنية فى القيام بهذه المسئولية الموضوعة على كتفها أكثر من سواها فوجدت لذلك أسبابا أريد بسطها بروح المحبة الأخوية والتواضع :

---

(١) الأستانة أو إسلام بول (استطمبول) : كانت عاصمة دولة الخلافة العثمانية ، قبل أن يلغيها الماسونى اليهودى « أتاتورك » .
وكان هذا هو عدد سكانها فى هذا الوقت .
أما الآن فالقاهرة عدد سكانها يفوق العشرة ملايين .

(٢) زويمر يدعو المسيحيين المصريين الى مشاركته فى الجريمة ، ويحرضهم على إثارة الفتن ضد الأغلبية المسلمة !!

أولا : الخوف المستولى على قلوب كثير من المسيحيين وهذا الخوف ليس ناشئا عن أسباب جديدة سياسية أو اجتماعية بل متسلسل من أحقاب عديدة منذ خضعت الأمم الشرقية للقوة الإسلامية ..

ثانيا : أن بعض الذين اهتدوا من الإسلام إلى المسيحية لم تبرهن حياتهم الجديدة على تغيير وتجديد حقيقيين،على أن البعض الآخر أظهر إيمانا قويا وشجاعة أدبية وغيرة مسيحية لتخليص الآخرين،ولهذا السبب ضعف إيمان بعض العمال وانكسرت قلوب بعض المسيحيين وتبدلت فى بعضهم الثقة بالنصرة إلى يأس وتشاؤم ، وقد يلتمس للمتقهقرين بعض العذر، حيث لم يجدوا الصدور الرحبة الممتلئة بالمحبة والإخلاص والثقة بهم من بعض المسيحيين الذين أتوا إليهم بعد تركهم كل مالهم من آل ومال ..

ثالثا : جهل أغلب المسيحيين بالعقائد الإسلامية وعدم معرفتهم الغث من السمين فيها . فقد كان من حظى أن أدرِّس لتلامذة مدرسة اللاهوت بالقاهرة كتاب « إحياء علوم الدين للغزالى » وقد أظهر هؤلاء التلامذة (المعدودون من نخبة الشبان المسيحيين معرفة وتهذبا وآدابا) .. دهشة عظيمة لما رأوه من الآداب السامية والتعاليم الروحية العميقة فى كتابه ذلك الصوفى العظيم ، وهذا يبين لى حاجة الكنيسة العظمى إلى قواد مطلعين على حقيقة الإسلام، عارفين دخائل الدين وبواطنه وآدابه وعلومه وتاريخه وفلسفته .

إن عدم دراية أغلب المسيحيين وقلة إيمانهم سواء فى أوروبا وأمريكا أم هنا فى مصر كان من أعظم المعطلات للعمل كل هذه السنين الماضية ، ولم تتغير الحالة فى الخارج إلا منذ ثلاثين سنة فقط عندما ابتدأ المسيحيون هنالك دراسة هذه المسألة والاطلاع على حقيقتها فى نور العلم والعرفان . ولذلك فنحن نرجو من كل قسيس ومبشر ومعلم فى مدرسة الأحد وعامل لمجد الله أن يعطى المسألة

الإسلامية حقها من الدرس والتنقيب واتباع أيسر الوسائل للوصول إلى هدفنا فى وقت قريب ..

إن حل هذه المسألة كما هى الحال فى كل حقل تبشيرى هو بيد الكنيسة الوطنية[1] . (بمن فيها جماعة المهتدين من الإسلام) وهى أنسب آلة لإتمام هذا القصد،لأنه كما يقول المثل (لا يقلع الشجرة إلا فرع منها) أو (لايفل الحديد إلا الحديد) ... !!

إن هذا هو وقت الأوقات وهذه هى الفرصة الممنوحة لنا من الله وهذه هى الساعة الحاسمة . وهذا هو فجر يوم النصرة . فإما أن تهبوا إلى العمل الآن،وإما أن يكون مصيركم الخذلان . إننا فى معركة حاسمة لربح « نفوس المسلمين » .. ولابد أن ننتصر فى هذه المعركة رغم أنف الحكومات والقوانين .. !!

* * *

أجل .. ! .. (ربح نفوس المسلمين)

فى الوقت الذى تخلصت فيه أوروبا من الكنيسة وتخلصت من نفوذها فى الدين ... والعقيدة ، وفى الوقت الذى تواجه فيه « الكنيسة » بشقيها .. الكاثوليكى والبروتستانتى أخطر أزمة تهدد وجودها على نحو ما ذكرته مجلة « التايم TIME » فى مقال لها عن هذه الأزمة وعن « الهرطقة » التى بدأت تظهر بوادرها فى التفسيرات الحديثة لأسس « الإيمان » عند كل طائفة ، وبخاصة حول أسطورة « تجسد الإله ـــ THE MYTH OF GOD INCARNATE ـــ التى بدأت تفقد أهميتها وتأثيرها كما يقول : « جون هيك ـــ JOHN HICK » الأستاذ بجامعة « برمنجهام ـــ

(١) دعوة إلى الفتنة الطائفية بين الأغلبية والأقلية ..

« BIRMINGHAM UNIVERSTTY » فى سكوتلاند ، وكما يقول العلامة : « ويلز ـــ WALES » تحت عنوان « سؤال مهم ... !

أفلا يعنى مثل هذا التغيير الذى ندعو إليه أن عبادة المسيح تلك العبادة التى جرى عليها العرف طوال التاريخ المسيحى كانت نوعا من عبادة الأصنام[1] ؟

نعم .. عباة الأصنام !!!

وبالرغم من هذا كله فإن عصابات التنصير لاتخجل من العار الذى يطاردها فى عقر دارها .. بل تسعى بأباطيلها الشائهة لملاحقة الحق الناصع فى « ديار الإسلام » سترا لفضائحها ، وإعلانا عن وجودها وتآمرها ..

وبحق ماقاله المسلم البريطانى الصادق محمد مارمادوك ـــ رحمه الله ـــ « عندما ينكشف أمر المجرم فى بلد ما .. فإنه يسعى إلى بلد آخر يمارس فيه جريمته بالحيلة والخداع والغش ، ولا مانع عنده من « القتل وإراقة الدم » إذا وجد فى هذه الجرائم سبيلا للوصول إلى السلطان والنفوذ والحكم . » !!!

وشأن المسلمين مع « عصابات التنصير » شأن هذا المجرم ولم يكن « صموئيل زويمر » إلا نموذجا صارخا لمحترفى الإجرام ضد الإسلام وضد كل مسلم .

---

(١) نقلا من كتاب أسطورة تجسد الإله THE MYTH OF GOD INCARATE بقلم (جون هيك ـــ JOHN HICK صفحة ٨ الأصل الإنجليزى ..

يقول « زويمر » :

يعتقد الكثيرون منا أننا نواجه عهدا جديدا من حيث علاقاتنا مع المسلمين ، وأن الساعة التى ينبغى لنا فيها أن نتقدم بدافع المحبة لربح نفوسهم ليسوع المسيح قد أذنت بإقبال الحرب العظمى[1] الماضية فإنه بعد جهاد المرسليات المتواصل فى تركيا مدة مائة عام بكلياتها الكاملة العدد وكنائسها ومدارسها ومستشفياتها وتبشيرها المسيحى لم يكن ليوجد من المتنصرين من يعلنون مسيحيتهم ، بل لم يكن ليسمح لأى مسلم اعترف بالمسيح جهرة بالسكنى بين عشيرته إلى ما بعد الحرب العظمى .

وإننا نعتقد أن ساعة الحصاد قد أتت ، وكيف لا نعتقد ذلك وقد مرت تسعة عشر قرنا والكنيسة المسيحية قائمة ، ومضت عشرات السنين ونحن نبذر كلمة الإنجيل بكل الوسائل المختلفة ـــ لقد أتت ساعة الجمع كما قال سيدنا المسيح له المجد :
(أما تقولون إنه يكون أربعة ثم يأتى الحصاد ؟ ها أنا أقول لكم أرفعوا أعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابيضت للحصاد ... أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه . آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم (يوم ٤ : ٣٥ ـــ ٣٨) . نعم قد تعب آخرون مدة تسعة عشر قرنا فماذا ينتظر الحاصدون ؟

* * *

يقول الدكتور حسين مؤنس :
« ..... إن فى أفريقيا وحدها اليوم حوالى ٢٢٥ مليون يعبدون الأوثان ، والكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية تتصارعان على كسب هؤلاء . تصارع الموت . إنه من ١٩٦٥ م إلى ١٩٨٠ م قتل فى مجاهل أفريقيا ٢١٨ مبشرا كاثوليكيا و ١٣٩ مبشرا بروتستانتيا ..

---

(١) ١٩١٤م ـــ ١٩١٩ م

إن عدد المبشرين فى الدنيا اليوم ٢٢٠ ألفا منهم ١٣٨٠٠٠ كاثوليكى والباق وعددهم ٨٢٠٠٠ من البروتستانت . فى أفريقيا وحدها ١١٩٠٠٠ مبشر ومبشرة ينفقون بليونى[1] دولار فى السنة ، والذين يدفعون هذه الأموال يعرفون أن هذا هو أحسن وجه ينفق فيه المال اليوم . لأن الذى سيكسب المعركة الدينية فى أفريقيا سيكسب معها نصف رصيد العالم من الثروات المعدنية والزراعية . إنهم يعرفون أنهم لايخوضون معركة دينية فقط بل اقتصادية وسياسية كذلك ، وكل مليم ينفق فى الدعوة الدينية اليوم سوف يؤتى أضعاف قيمته غدا . فأين نحن من هذه المعركة ؟

إننى لا أتكلم بلغة الدين فقط ، بل بلغة السياسة والاقتصاد أيضا . فإن دخول الوثنيين فى الإسلام معناه دخول أراضيهم وثرواتهم فى رحابه أيضا . ونحن لو كسبنا هؤلاء الناس إلى ديننا فنحن سنكسبهم فى الوقت نفسه إلى لغتنا وحضارتنا وإلى معسكرنا السياسى ، لأن معارك الحضارة شاملة . أى أن المسلمين إذا كسبوا بلدا وثنيا إلى جانبهم أصبحت ثرواته بالتالى فى معسكر الإسلام .

والإسلام هنا نظام دينى وحضارى وسياسى . وعندما تفجرت ينابيع الثروة فى الجزيرة العربية ـــ وكلها إسلام ـــ كان المسيحيون اللبنانيون من أكثر الناس كسبا منها ، لأنهم عرب . فى حين أن مسيحيا عربيا واحدا لايكسب مليما من ثروات إقليم كاتانغا فى جمهورية زائير ، لأن المسيطرين على أقليم كاتانغا ومعادنه أوروبيون مسيحيون ، وهناك ٢٠٠٠ مبشر مسيحى فى ذلك الإقليم وحده ، وهنا نقطة أريد أن استلفت إليها الأنظار ، وهى أن الاستغلال البشع الذى يقوم به الأوروبيون والأمريكيون للناس فى كاتانغا ينفرهم من المسيحية .

---

(١) هذا الرقم خاص بعام ١٩٨٠ فقط أما الآن فقد ضوعف مرات عديدة .

ولكن هذه معارك لا يعرف المسلمون عنها شيئا ، وفى اعتقادى أنهم لايريدون أن يعرفوا لكى يظلوا يرددون أنشودة الإسلام الذى يتقدم فى كل مكان من تلقاء نفسه بصورة مذهلة ، وهذا هو الكلام الذى قاله أحد الخطباء فى احتفالات العيد الألفى للأزهر ، وقد صفق الحاضرون له طويلا ، وجعلوا يهنئون بعضهم بعضا عليه ..

وبعضهم قال : إن مجاهل أفريقيا فيها ألوف المسلمين ، وإن طلبة الأزهر من أهالى البلاد يعملون بجد فى نشر الإسلام هناك ، وأنا أسمع ذلك وأتأسف لإيمان المسلمين بالأوهام واستراحتهم إلى الأحلام ، فالذى أعلمه علم اليقين أن حوض الكونغو كله ليس فيه داعية إسلامى واحد لا أزهرى أو غير أزهرى ..

وفى تقرير سنة ١٩٨٠ م عن النشاط التبشيرى البروتستانتى أقرأ أن عدد المبشرين البروتستانت الذين يعملون فى أمريكا اللاتينية ٩٢٥٠ فى مقابل ٢١٨٠ مبشرا من الولايات المتحدة وحدها ، وهؤلاء المبشرون البروتستانت يتجهون إلى مواطن قبائل الهنود الحمر فى كولومبيا وبوليفيا والاكوادور والبيرو ، ومن هناك يتسلل الألوف منهم إلى البرازيل ، لأن حكومة البرازيل الكاثوليكية لا تسمح لهم بالدخول والعمل ، لأنهم يعرفون أن التبشير عملية دينية فى الظاهر ، ولكنها سياسية فى الحقيقة .

ثم إننا فى عصر يختلط فيه كل شيء . فالدين واللغة والاقتصاد والسياسة شيء واحد ، والمعركة التى نخوضها معركة واحدة ، ولكنها متعددة الجهات . ورجل التبشير الأمريكى أو الإنجليزى أو الفرنسى رجل سياسة فى الوقت نفسه ، وجانب كبير من الأموال التى تنفقها الولايات المتحدة على التبشير يأتى من ميزانية وزارة الخارجية أو وزارة الدفاع ، لأنها كلها معركة أمريكية واحدة .

ونحن نتعجب من ذلك ونقول : لماذا يتحاربون ما داموا كلهم مسيحيين ؟ .. ولكن الحقيقة أن الدين سياسة،وأن الهندى الأحمر الذى يدخل البروتستانتية على أيدى مبشرين أمريكيين سيتكلم الإنجليزية ، ويصبح جزءا من الإمبراطورية الأمريكية .. أما الذى يتنصر كاثوليكيا فسيتكلم الإسبانية . ويخرج من سلطان الأمريكيين ..

لهذا لا ندهش إذا قرأنا فى دراسة نشرتها مجلة « تايم » عن المبشرين الجدد فى ديسمبر سنة ١٩٨٢ م أن ١٢٦ مبشرا بروتستانتيا قتلوا فى كولومبيا وحدها خلال عشر سنوات ، ومن سنة ١٩٤٨ م إلى سنة ١٩٥٨ م ، وفى نفس الوقت أغلقت الحكومة الكولومبية الكاثوليكية فى أمريكا الجنوبية ٢٧٩ مدرسة و ٦٠ كنيسة بروتستانتية .

وقد هدأت الحرب بين البروتستانت والكاثوليك هناك خلال ولاية البابا يوحنا الثالث والعشرين ، ثم تجددت فى ولاية البابا الحالى يوحنا بولس الثانى ، ولهذا فإن حكومة الولايات المتحدة غير مرتاحة لرحلات البابا الكثيرة ، وبتحريض منها فى الغالب أعدمت حكومة نيكارغوا ستة من الرهبان المبشرين الكاثوليك عشية زيارة البابا لأمريكا الوسطى ، وكان الأمل أن يغضب البابا ولا يقوم بالزيارة ، ولكنه ذهب ، لأن المسألة مسألة حرب وصراع إمبراطوريات ..

ومن أغرب ما نقرأ من أخبار هذا الصراع الدينى السياسى أن راهبين فرنسيين هما فرانسوا جوربو « ٤٠ سنة » ، وارستيد كاميو « ٤١ سنة » حرضا الهنود الحمر فى غابات الأمازون على التمرد ضد الإقطاعيين البرازيليين وعلى الثورة وانتزاع الأراضى ، وعندما ثار الزراع التعساء وأحرقوا بيوت الإقطاعيين هاجمهم الجنود البرازيليون وقتلوا منهم ٤٧ رجلا ، وقبضت حكومة البرازيل على الراهبين الفرنسيين وحكمت المحكمة عليهما بالسجن عشر سنوات ، وقد حاول البابا يوحنا بولس الثانى التدخل للإفراج عنهما

فرفضت حكومة البرازيل ، وبعد ذلك مباشرة أرسلت إحدى جمعيات التبشير الأمريكية البروتستانتية مبشرين إلى المنطقة ومعهم أدوية وأطعمة ونقود ليكسبوا الثائرين للجبهة البروتستانتية .

إنها حرب إذن يخوضونها لأنهم يقظون يعملون للمستقبل ، ونحن نبذل جهودا ولكنها لا تذكر إلى جانب ما يبذله الآخرون ، فعدد الدعاة المسلمين فى أفريقيا لا يزيد على ثلاثة آلاف ، فأين هذا العدد من ١١٩٠٠٠ ؟ وفى جمهورية أندونيسيا — وهى مسلمة — ما لا يقل عن ٤٠,٠٠٠ مبشر كاثوليكى وبروتستانتى ، وفى جزيرة بورنيو — وهى جزيرة إسلامية داخلة فى دولة أندونيسيا — أكثر من ١٠٠٠ مبشر ..

ومع احترامى لكل الجهات المعنية بالدعوة الإسلامية لابد أن أقول إن الجهود الحالية لا تكفى قط لكى نكسب معركة المصير هذه ، من رأيى أن نعتبر هذه المعركة معركتنا الأولى ، وأن نكرس لها أقصى ما نستطيع من جهد لأنها معركة المستقبل ، وإذا جاز لنا أن نتراخى فى ميادين أخرى فإن التراخى هنا قاتل ..

وأنا أقول هذا الكلام ونظرى متجه إلى الغد ، إلى سنة ٢٠٠٠ م وما بعدها ، ولا أمل عندى فى أن يفهمنى أولئك الذين لايعرفون إلا الاحتفال بالماضى لأنهم يعيشون وعيونهم تنظر إلى الوراء[1] !!!

* * *

إننا فى عصر تلعب فيه « المعلومات » و « الإحصائيات » دورا خطيرا فى إدارة المعارك .. وسواء أكانت هذه المعارك عسكرية أم اقتصادية ، أم ثقافية ، فلسوف تجد أن إدارة هذه المعارك تتوقف بالدرجة الأولى على

---

(١) نحن ومعركة التبشير .. د / حسين مؤنس — مجلة « المجلة »

مقدار ما يعرفه كل طرف عن الظرف الآخر من معلومات تتعلق بأسلوب حياته ، ونمط تفكيره ، ونوع ثقافته ، ومواطن الضعف أو القوة بين أفراده .

ولهذا .. قامت « السى . آى . ايه — C-I-A) فى الولايات المتحدة و (الكى . جى . بى — K.G.B) فى روسيا ، ولهذا انشئت المعاهد المتخصصة فى دراسة نفسية الشعوب ، واهتمت الجامعات بتطوير ودراسة علم الإحصاء ، وحظيت الدراسات التربوية بأوفر نصيب من العناية والاهتمام ، وتطورت صناعة « الكمبيوتر » لتنظيم وتبويب هذا الكم الهائل من الاحصائيات والمعلومات ..

ومن العجيب أن المؤسسات التبشيرية لجأت إلى استعمال هذه الأساليب فى وقت مبكر ، ورسمت خططها فى ضوء هذه الحقائق قبل أن يسمع الناس بشىء اسمه « الكمبيوتر » وفى « الوثيقة السرية » التى بين أيدينا الآن ... أو فى الكتاب الخاص « بخدام الدين المسيحى » كما طبع على غلاف هذا الكتاب ، يقول « صموئيل زويمر » تحت عنوان : « عندما تتكلم الأرقام » :

«... قال أحد الأمريكان إن الكذب ثلاثة أنواع الكذب المعتاد والكذب الأسود وثالثها الإحصائيات . وكم استعملت الأرقام فى إيراد الحقائق بغلو فاحش أو للتضليل ؟ والأمثلة على ذلك عدة فى كل التقارير ولا يستثنى من ذلك تقارير المبشرين والمرسلين — أما إحصاء الحكومة المصرية للقطر المصرى سنة ١٩١٧ م المطبوع فى مجلدين ضخمين فخلو منها.ويرى القارىء النابه من خلال سطور هذين المجلدين الضخمين اللذين تزيد صفحاتهما على الألف عدا .. كلمات بارزة كلها توبيخ وتأنيب لبلاده وتواكل القائمين بحمل بشارة الإنجيل إلى مجموع سكان مصر أى أخوتنا وأخواتنا المسلمين ؟ !!

فإلى هذين المجلدين نوجه التفات كل مهتم بالعمل التبشيرى المصرى حتى يدرك بهما حقيقة الحال .

كان « غلادستون »[1] يجعل من الأرقام قوات هائلة بفضل مقدرته الخطابية العجيبة إلا أننا لا نحتاج إلى موهبة خاصة فى الخطابة أو بصيرة جديدة لنرى قصورنا كمبشرين ومرسلين ، كما يظهر ذلك جليا من المقارنة بين تقاريرنا وهذا التقرير المبنى على حل المسائل التى لم ننجزها بعد ، وعلى آلاف القرى ومئات الألوف من الناس الذين لم نعبر إليهم ونعينهم .

ويظهر التقرير أيضا حاجة البلاد إلى التعليم وكيف يجب أن تنهض مصر نهضة حقيقية حتى تكون أهلا لأسمى الفضائل والمجد .

ويحتوى المجلد الأول على تفصيل عن حالة المراكز والقرى بالنسبة لمساحتها وعدد سكانها وعدد مساكنها ، والمذاهب والأديان والأحوال الدينية والعلمية والصحية مفصلا حالة كل أقليم على حدة ، وكم يساعد ويلزم هذا المجلد كل عامل يريد معرفة تفاصيل أحوال وسكان البقعة التى يشتغل بها مهما كانت صغيرة ؟ ولنضرب لذلك مثلا إحدى قرى مركز شبين الكوم ــ منوفية ــ المدعوة (عشما) فإنك تعرف عنها من التقرير البيانات[2] الآتية :

عدد أراملها ٢٤٥ ومسيحيوها ٦ فقط ، وليس بها يهودى واحد وبها من المتعلمين ٣٠٢ من الرجال و١٨ امرأة تستطيع القراءة ، وجملة سكانها ٢٤٦٦ أناث و ٢٥٨٣ ذكور وما هذه إلا واحدة من مئات القرى المحصاة فى ذلك الكتاب ولايوجد فيها للآن شاهد واحد للمسيح !!

أما المجلد الثانى فيتضمن خلاصة عامة لكل القطر من جهة الحرف والجنسية

---

(١) رئيس وزراء بريطانيا الذى قال : لن نغلب المسلمين ما بقى فيهم المصحف ، والكعبة ، والأزهر ..

(٢) انظر الاحصائية الخاصة بعدد سكان مصر فى السبعينات ونسبة المسلمين العددية بالنسبة لغيرهم وستجد تطابقا واضحا بين ما قاله « زويمر » وبين ما تقوله هذه الاحصائية التى تقطع السنة للفترين والمتعصبين ..

والتعليم والعمر والمولد والعاهات ، واللغات المتعارفة والمساكن .. الخ،وهذه الجداول الثمانية تساعد الخادم ــ إذا أعارها قليلا من الوقت والالتفات ــ على إدراك أحوال مركز عمله الاجتماعية .

مجموع سكان القطر المصرى ١٢٧١٨٢٥٥ منهم ١١٦٢٣٧٤٥ مسلمون و ٨٥٦٦٧٨ أرثوذكس و ١٠٧٥٣١ كاثوليك و ٤٧٤٦٥ بروتستانت ، و ١٤٤٤١ مسيحيون من مذاهب أخرى ، فيكون مجموع السكان المسيحيين ١٠٢٦١١٥ ، أما عدد سكان اليهود فى كل القطر فهو ٥٩٥٨١ ويسرنا أن نعرف أنه لا يوجد بين كل عدد السكان إلا ٨٨١٥ لا ينتمون إلى دين أو مذهب . ففى هذا تختلف مصر اختلافا بينا عن اليابان ، والأشكال المرسومة هنا توضح لنا حقائق هامة تضمنها الإحصاء فالمرجو درسها بدقة ، ومن أهم الجداول جدول الحرف الذى يقع فى ٣٥ صفحة ومنه نجتزىء الحقائق الآتية :

عدد خدام الدين لكل الأديان والمذاهب ٨٦٤٦٨ منهم ٣٨٩ للبروتستانت و ١٠٣٨ للكاثوليك و ١٥٩٣ للأرثوذكس ــ ومجموع المشتغلين بالطب ذكورا وإناثا بمن فيهم الممرضون والممرضات الخ ١٣٠٠٠ ــ أما عدد المشتغلين بالتربية والتعليم فيبلغ ١٥٦٠٠ ، وأن نظرة واحدة إلى هذا الجدول (جدول الحرف) لكافية للوقوف على سوء حال مصر[١] إذ بها ١٦٣٨٨٠٢ طفل لا عمل لهم لصغر سنهم وغير ميسور لهم دخول المدارس، ومجموع عدد المتسولين والمتشردين وأهل العهر ١٤٠٠٠ ــ كل هذه التفاصيل مبينة أمام كل مركز وقرية ــ !!!

أما اللغات الأجنبية المعروفة فى مصر فهى الإنجليزية والفرنسية واليونانية والطليانية ويهم المشتغل بالتبشير أن يعلم أن عدد الذين يعرفون

(١) أى فى الوقت الذى كتب فيه هذا الكتاب إبان الاحتلال البريطانى .

الإنجليزية لايقلون عن ١١٧٠٠٠ والفرنسية ١١٣٠٠٠ والطليانية ٧٤٠٠٠ ، وإذا عرف المبشرون ، وخاصة المرسلون ، أن عدد الذين يعرفون الإنجليزية فى القاهرة وحدها لايقل عن ٣٦٠٠٠ بمن فى ذلك ٧٠٠٠ من النساء تحتم عليهم ألا يترددوا فى إقامة خدمات دينية بهذه اللغة كلما أمكنهم ذلك ، ولنا فى إقبال العارفين بها على اجتماعات الدكتور « شرود ادى » أثناء زيارته القريبة لمصر أقوى مؤيد لهذه الفكرة .

ويجب ألا نغفل الفرنسية فى مجهوداتنا الأدبية والتبشيرية كما هو الحاصل من ندرة استعمالها فى مختلف الإرساليات ، فى حين أن كثيرا من المطبوعات الفرنسية المخلة بالآداب تنتشر انتشارا ذريعا الأمر الداعى إلى زيادة الأسف ..

ويتبين من جدول الإحصاء أن القاهرة عاصمة مصر وأكبر مدينة فى أفريقيا ومركز المطبوعات الإسلامية بها من المسلمين ضعف ما بالآستانه منهم وأزيد بكثير مما فى أية مدينة أخرى فى الدنيا،فلا عجب إذا كان نفوذها يتزايد يوميا ليس فى شمال أفريقيا فقط بل فى كل الشرق الأدنى أيضا .

وأن جداول عدد سكانها وآثارها (العمارية) ومعاهدها العلمية ومجالس بلدياتها ولغط المارين فيها ولوحات شوارعها وكيفية معيشة أهلها لتبين بأجلى وضوح لدى أدنى تأمل أنها بلدة عريقة فى الإسلام وفى أحيائها الخمسة عشر تسود الإسلامية[1] إلا فى حى الأزبكية حيث يغلب العنصر المسيحى ويبلغ سكان القاهرة حسب هذا الإحصاء ٧٩٠٩٣٩ متوزعين فى اثنى عشر قسما[2] .

وأعظم ما يدهش حالة الأمية فإنها فى مصر تنادى بأجهر صوت

---

(١) يقصد الدين الاسلامى .

(٢) أى : قسم بوليس .

بالحاجة إلى تحسين المرسليات التهذيبية[1] فإنه حتى فى نفس العاصمة يوجد ٦٠ ٪ أميون،مع العلم أنه لايدرج ضمن هؤلاء الأطفال دون الخامسة وفى كل القطر ١٠ ٪ فقط من الرجال وأزيد بقليل عن ٠,٥ ٪ من النساء يقرءون أو يكتبون .

أما كمية المتعلمين حسب ما هو مبين بالجدول فهى ٥,٣ ٪ للمسلمين و ٢١,٤ ٪ للمسيحيين و ٤٣,٨ ٪ لليهود ولو عنيت الإحصائية بذكر عدد المتعلمين بين جماعة البروتستانت لكانت النسبة المئوية أزيد مما لليهود .

وفى الجدول رقم ٥ فى إحصائية القاهرة تظهر العاهات مرتبة حسب الجنس والسن والدين ونقتطف منها ما يأتى :

مجموع العميان والعور فى مصر ٣٩٤٦٧،منهم ١٠٥٠٠ عميان[2] تماما ؟ فإن الرمد الصديدى وغيره من أمراض العيون منتشر فى مصر انتشارا فظيعا .

أما عدد الأرامل فهو ٤٧٢٧٣ والأطفال دون الرابعة عشرة ٣٢٠٠ ومعدل الساكنين فى كل غرفة من غرف القاهرة شخصان !!

إن الإسلام دين يحرم المسكرات بتاتا مع أنه لم يستطع أن يستأصلها من البعض،خصوصا مسلمى أوروبا ، ولكن تأثير التمدين الغربى فى مصر والشرق الأدنى وتعذر ضبط تجارة الخمور بسبب الامتيازات الأجنبية — كل هذه ساعدت على زيادة انتشارها بمصر ، ففى ديسمبر سنة ١٩١٩ كان عدد محال الخمور لا يقل عن ٦٦٧ محلا (بخلاف المحال السرية) .

---

(١) إنشاء المدارس التبشيرية .

(٢) هل يمكن أن نقف مكتوف الأيدى أمام هذا العدد الضخم من العميان ؟ لماذا لانعلمهم القراءة فى الكتب البارزة ليصيروا أداة نافعة غير عاطلة ؟ — رحمة يا قوم بهم وبلادكم — زويمر !!

ومن الإحصاء نرى أن جنود الشر قد بدأ سيلهم ينهمر على مصر بانتظام تتقدمهم نشراتهم ووكلاؤهم المأجورون يعرضون أسوأ مساوئ التمدين الغربى ـــ كالمطبوعات البذيئة والصور المتحركة المبتذلة والميسر والمضاربات وسباق الخيل وصيد الحمام والعقاقير المخدرة والمسكرات وغيرها مما يسفل ويحط بالمبادىء الأدبية ـــ كما أنه لم يأت عصر كان فيه الناس أشد افتقارا واستعدادا لقبول رسالة الإنجيل والطبقة المتعلمة أكثر ميلا للقيادة الصحيحة كعصرنا هذا .

ولما كان العامل بين المسلمين لا يصادف أى نجاح إذا كان جاهلا لأدبياتهم وأفكارهم أو أعمى بالنسبة لنسب وأحوال وحاجات السكان فإنا لايسعنا الآن إلا أن نشكر المولى لأنه كشف لنا حقيقة عملنا التبشيرى ومعطلاته وسعة نطاقه ... !!!
وإلى هنا ينتهى كلام « زويمر » فهل صنع المسلمون مثل ذلك ؟

إن من أغرب ما قرأت فى مجلة أسبوعية تصدر فى عاصمة إسلامية عربية كبرى أن هذه المجلة نشرت مقالا لرئيس التحرير يحدد فيه عدد المسلمين برقم يختلف عن الرقم الذى طبع على غلاف هذه المجلة بالخط الملون الكبير !!

أما بقية الصفحات فقد اشتملت على أرقام وبيانات تختلف من صفحة إلى صفحة ! حتى لنكاد نقطع بأن رئيس التحرير لم يقرأ حرفا واحدا مما نشر فى هذه المجلة ، وأن الكتاب والمحررين لم يعرضوا عليه كلمة واحدة من مقالات هذا العدد قبل أن تأخذ طريقها إلى المطبعة ... !
بل نسمع كثيرا من الزعماء والقادة كلاما يناقض بعضه بعضا ، فزعيم يقول : إن عدد المسلمين ثمانمائة مليون مسلم ومسلمة ، وزعيم يقول : إنهم (أى المسلمون) دون الثمانمائة وفوق السبعمائة .. !
بينما يقرر زعيم ثالث : أن عدد المسلمين تجاوز الألف مليون مسلم ومسلمة ..

ولو كان الأمر يتعلق بالأقليات الإسلامية لكان من الممكن قبول هذا « التخبط » أو هذه الإحصائية،نظرا لوجود هذه الأقليات فى بلاد غير مسلمة ، ولما تعانيه هذه الأقليات من صنوف العسف والاضطهاد والكراهية ولصعوبة تبين الحقيقة وسط هذه التلال المتراكمة من الأحقاد والضغينة .

ولكن ما عذر هؤلاء الكتاب والقادة حين يكتبون عن الإسلام والمسلمين فى بلاد غالبيتها العظمى مسلمة ، وتحكمها حكومات مسلمة وأمامهم وبين أيديهم الإحصائيات الرسمية المعادة ... والمكررة .. ؟

* * *

فى صيف عام ١٩٧١ م أثناء ترددى إلى « لندن » للدراسة فوجئت بلوحات ملونة تملأ محطات « الأندرجراوند ـــ UNDER GROUND » كانت هذه اللوحات إعلانا عن مذكرات (موشى ديان) التى كانت تنشرها جريدة « الصنداى تلجراف THE SUNDAY TELEGRAPH »،فى صفحة من هذه المذكرات استنكر المحرر ـــ أو المسئول عن نشر هذه المذكرات ـــ على « موشى ديان » أن يستعمل فى حرب ١٩٦٧ م نفس الخطة التى استعملها فى حرب ١٩٥٦ .. ؟

فقال « ديان » ساخرا :

وأى عيب فى هذا أو خطأ .. ؟ إن العرب ياسيدى لايقرءون ، وإذا قرءوا لايفكرون أو يعملون !!

* * *

أرأيتم كيف يعمل « المبشرون » ؟ وكيف يفكر أعداء الإسلام ويخططون ؟ وكيف استوعبت إحصائياتهم أى شىء يخطر على بال أى عاقل أو مجنون ... !!

هكذا يكون العمل .. ويكون التخطيط والتدبر المنظم .

أما نحن ... فأدعوكم إلى ما كتبه عالم مصرى جليل عن انحدار مستوى التعليم فى معاهدنا الإسلامية :

طالب فى السنة الثالثة الثانوية ... لايعرف فرائض الوضوء ... !

ولايعرف الأسماء الخمسة فى النحو .. ! ، وسورة « الحجر » المعروفة فى القرآن تحولت عنده إلى « حجر » من الجرانيت والصخر !!!

إنها الحقيقة المرة .. بل هى الكارثة التى ما بعدها كارثة .. أقرر هذا

وفى الحلق ألف غصة !!

وفى القلب أسى وحسرة [1] !!!

الزحف إلى مكة !!!

(١) الدكتور عبد الجليل شلبى ـ الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية ـ نقلا عن جريدة الجمهورية الصادرة فى يوم ١١ / ٥ / ١٩٨٧ م